حوارات

الروائي سيد الوكيل: الاحتفاء بالإنسان عبر المكان في «شارع بسادة»

المكان ليس معنى جغرافياً

يحتفي الروائي «سيد الوكيل» بالإنسان عبر المكان في مجموعة علاقاته في آخر إصداراته الروائية التي شكلت علامة أخرى من علامات تميزه السردي. ورواية «شارع بسادة» رواية شائكة في بنائها الفني ولم تقم سرديتها على حبكة مألوفة كالتي تتصل مع الواقع مباشرة دون فلسفته ومساءلته ، إنما تقصدت الواقع وانتمت إليه لكنها افترقت عنه بمعطيات فنية كثيرة ؛ ولهذا لاقت هذه الرواية ما تستحقه من ثناء نقدي وإطراء نخبوي واضح المعالم .
سيد الوكيل في هذا اللقاء يتماهى مع «شارع بسادة» ويتوغل في بعض جزئيات روايته واشتغالاته المعرفية عليها .

حاورته : سولاف هلال
القاهرة

■ روايتك « شارع بسادة» تحيلنا إلى اسم مكان، ما هي علاقتك بالمكان على مستوى الرواية ؟
– المكان ليس معنى جغرافيا على الإطلاق ، هو مجموعة من العلاقات التي يكون الإنسان عنصرا رئيسا فيها ، وليس في روايتي احتفاء بالمكان على نحو منعزل عن هذه العلاقات التي تنتج عبر الممارسات اليومية والطموحات الصغيرة لشخصيات تبدو مهمشة مثلما المكان ذاته ، وعندما تستطيع كائنات المكان أن تعبر عن نفسها فهي تمنح للمكان خصوصيته ، ومن ثم يبدو المكان بطلا على نحو مايشير له عنوان الرواية ، ولكن الحقيقة ، إن هذه البطولة ليست منحة إلهية لقطعة من أرضه ، بل هي منحة الإنسان ذاته ، لهذا لا أحب أن تقرأ روايتي على أنها رواية مكان ، فهذا طموح فقير وبسيط . أظنها معنية أكثر بالإنسان وأسئلته الوجودية التي لاتنتهي ، ومن بين هذه الأسئلة مساءلة المكان ذاته. صحيح أن للمكان في الرواية وجوداً حقيقياً في حياتي ، وقد عشت فيه فترة من عمري ، ولكني لا أكتبه لكي احتفي به أو أخلده ، بل لأسئله وأبحث فيه عن ذاتي، باختصار، المكان هنا ليس موضوعا بل هو ذات مؤرقة محتشدة بالأسئلة والهزائم الصغيرة .

■ هذه الرواية تحتاج إلى تلق خاص وقارئ غير عادي ، ما الذي أرادت « شارع بسادة « إيصاله في تركيبتها الفنية والنفسية ؟
– هذا سؤال صعب ، لأنني في الحقيقة لم تكن عندي رسالة واضحة للقارئ ، لقد كتبت هذه الرواية على مدى سنوات طويلة رغم صغر حجمها ، طوال هذه السنوات أعدت كتابتها عشرات المرات ، أنا شخصيا كنت مرتبكا ومجذوبا لكتابة هذه التجربة بشكل قدري فيه كثير من الهوس ، واظن أن السبب في ذلك أن عالمها لصيق بذاتي إلى درجة لا تمكنني من رؤيته واضحا ومستقلا ،ومن ثم يبدو الراوي هنا تمثيلا لي كمؤلف، فقد عشت في مرحلة من حياتي بهذا المكان محاطا بظروف بالغة القسوة ، كنت صبيا وحيدا مسكونا بحزن الملائكة وجنون الشياطين ، وفي مرحلة شائكة من حياتي وهي مرحلة تفتح الحواس وطرح الأسئلة البكر التي شكلت فيما بعد وعيي وحددت طريقتي في فهم الحياة والكتابة نفسها، والراوي صبي يعاني وهو موزع بين معايير ثقافية عن المقدس والمدنس فرضها المكان .

■ هناك أكثر من بعد في النص ولا يتكشف هذا الأمر من القراءة الأولى ، لماذا تعمدت هذا الإرباك للقارئ ؟
– لم يكن لدي شيء واضح ، لهذا كانت الكتابة . نفسها . هي طريقتي في الفهم والمعرفة ، أو بمعنى آخر ، الكتابة هي صيغة للبحث ، وهذه طريقة للكتابة مختلفة عن طريقة الكاتب الذي يمتلك معارف يقينية يسعى إلى إبلاغ الناس بها ، ومن ثم تحتاج لقارئ مختلف ونوعي ، يقظ الحواس وليس مجرد متلق سلبي لما أقول ، فربما الارتباك الذي يشعر به القارئ مساو لارتباكي شخصيا تجاه الأسئلة التي تقلقني، لكن القارئ لن يشعر بالتعالي عليه أو بقصدية إرباكه ، لهذا اعتقد أنه سيجب العمل ويبذل بعض الجهد ويتحملني ، والقارئ مستعد أن يعاني قليلا إذا وجد في النص وعدا بمزيد من المتعة مع كل قراءة ، لأننا حين نمارس فعلا ممتعا نرغب في المزيد منه وسنقبل بعض المعاناة أو الألم في سبيل ذلك . إن اللذة التي يمنحها لنا النص أشبه بممارسة الجنس على حد تعبير رولان بارت ، لهذا نمارس مزيدا من لذة القراءة بحثا عن لحظة إشباع .

■ لماذا اقتصرت رؤيتك للمقدس والمدنس في الرواية على فكرة الجنس التي تحضر بكثافة خلال العمل ؟
– لا اعتقد بأن هناك مسافة كبيرة بين المقدس والمدنس ، هذه المسافة هي نتاج ثقافي لكنها ليست موجودة في الحقيقة ، فعبر التاريخ اخترع البشر العديد من الثنائيات وانحازوا لبعضها ضد الآخر ، قدسوا الروح واحتقروا الجسد ، أحبوا الملائكة وكرهوا الشياطين، عظموا الرجل وهمشوا المرأة ، وفيما بعد صارت هذه الثنائيات وكأنها في صراع مع بعضها،مع أنهما في الأصل كانا شيئا واحدا ، فإبليس هو نفسه طاووس الملائكة، والشجرة المحرمة منحت آدم وحواء حقا مقدسا فكان لهما نسل عظيم يعمر الأرض ويعبد الله ويكون خليفته فيها، هكذا يولد المدنس من قلب المقدس والعكس صحيح . وهذه الآلية ، هي في الحقيقة إرادة إلهية ، لقد كان لدى الله ملائكة وشياطين ، ولكنه خلق الإنسان ليجمع بين النقيضين في خلق واحد وفضله على جميع ما خلق . والجنس هو التمثيل الأبرز لتماهي المقدس والمدنس، فهو الوسيلة التي اختارها الله لعملية الخلق لتكون دالا قويا على وجوده وقدراته ، ولكن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي ارتقى بالجنس من الأداء الوظيفي لمجرد التناسل وحفظ النوع ، إلى الأداء الجمالي ليصبح الجنس فعلا خالصا لذاته، وفي هذا الارتقاء نوع من التقديس، وهو معنى صوفي يتجلى في لحظة التوحد الحقيقية بين الثنائيات المتضادة ، الروح والجسد أو الرجل والمرأة أو المقدس والمدنس.

■ تعرضت في الرواية لمسألة الشذوذ الجنسي ، ما هي رؤيتك لهذا الأمر كحالة استثنائية في الحياة ؟
– علميا لا يوجد جنس يخلو من انحراف سوى الجنس الوظيفي بغرض التناسل بين الحيوانات مثلا ، وغير ذلك هو نوع من الانحراف عن أصول الغريزة ، وهذا الانحراف يختلف في درجاته ، والشذوذ الجنسي هو أقصى درجات الانحراف ، صحيح هو يمثل أعلى درجات الجنس المجرد لذاته وأبعدها عن الوظيفة ، ولكنه يفتقد لفكرة توحد الثنائيات المتضادة التي اعتبرها لحظة التوحد بين المقدس والمدنس ، لهذا يعتبر شذوذا . والرواية تناولته بين صور الجنس المختلفة لأنه حالة موجودة في الحياة كما قلت في سؤالك ، ولكن الرواية لا تحتفي به بقدر ما تنشغل بعذابات أصحابه كحالات إنسانية لاتستطيع أن تتصالح مع الآخر ولا حتى مع نفسها، أنها أكثر درجات الاغتراب الإنساني شراسة . هكذا كان سمير وهدان أحد شخصيات الرواية ، كانت أمه تقدم الذبائح للولي ، تبكى وترجوه أن يهبها ولدا بعد أن أنجبت سبع بنات ، وعندما رق الولي لحالها بدل جسد البنت التي في بطنها إلى ولد ونسى أن يبدل روحها ، فخرج سمير إلى الحياة بجسد رجل وروح امرأة .

■ هل هناك تساؤلات ما ورائية مطروحة في الرواية ، هل عثرت على إجابة ما لتساؤلاتك بعد كتابة هذا العمل ؟
– كل إنسان في الوجود هو حالة خاصة ، ومن ثم فهو يطرح أسئلته الخاصة على الوجود ، وبهذه الطريقة فالأسئلة لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة ، والأدب سيظل يطرح الأسئلة لأنه طريقتنا في الإدراك الحسي للعالم ، صحيح أن الرواية تحاول البحث عن إجابة لأسئلتي الذاتية ، لكنها لاتزعم أنها وجدت إجابات ، ببساطة ، لو كانت لدى إجابات لما كتبت . وهذا الإحساس بالنقصان والجوع النفسي والفكري والحسي ،هو ما يمنحني دافعية للكتابة .

■ أنت روائي ومهتم بالنقد ولديك عدة إصدارات في المجالين ، هل ترى أنك حققت جزءا من مشروعك الإبداعي والنقدي ؟
– عموما أنا كاتب مقل في إنتاجي ، فلي روايتان وثلاث مجموعات قصصية وكتابان في النقد ، وهذا قليل بالنسبة لرجل في منتصف الخمسين ، لهذا لا أشعر أنني كتبت الكثير مما أرغب في كتابته ، هذا على مستوى الكم ، أما على مستوى الكيف فلا أرغب أبدا في الشعور بالرضا ، ودائما أصبو إلى تجاوز ما كتبت وأضع نصب عيني مقولة طه حسين : إن الكاتب إذا اطمأن فسد .

■ أنت مهتم بالفن التشكيلي كيف تصف علاقة الكتابة بالرسم ؟
– بدأت فنانا تشكيليا ، لكنني وجدت في الرسم بالكلمات عوضا عن الرسم بالفرشاة ، إنه يوفر لي قدرا أكبر من إمكانات التعبير عن ذاتي ، ولقد نقلت خبرتي البصرية إلى اللغة ، وأزعم أنني مميز في هذا بين كتاب جيلي ، ومن حسن الحظ أننا نعيش عصر الصورة ، فبدا أن كتاباتي متوافقة مع هذا العصر، ولقد لاحظ الدكتور شاكر عبد الحميد هذا وخصص فصلا كاملا عن حضور الصورة في قصصي ضمن كتابه المهم (عصر الصورة) الصادر عن سلسلة عالم المعرفة .

■ بوصفك مهتماً بتقديم دراسات حول الأدب النسوي ، ما هي رؤيتك لكتابة المرأة العربية ؟
– حضور المرأة في المشهد الأدبي كبير ، وهو حضور ليس على مستوى الكم فقط ، بل على مستوى الكيف أيضا ، حتى يمكن القول أن الكتابة الجديدة ذات نزوع نسوى واضح سواء على مستوى شفافية اللغة والبعد عن تراكيب الفحولة البلاغية القديمة ، أم على مستوى توجه الخطاب إلى اليومي والهامشي ، وهو يتوافق بقوة مع توجهات الخطاب النسوي . ويبدو أن وسائط التكنولوجيا الحديثة منحت المرأة فرصة واسعة للمشاركة متجاوزة محذورات النشر القديمة ، أنهن الآن يتصدرن صفحات الإنترنت وشاشات التلفاز ، وهذا الوضع جعل المشهد واسعا على امتداد الخريطة العربية ، فمشاركة المرأة في المشهد الأدبي لم تعد مقتصرة على الدول التقليدية مثل مصر وسوريا أو لبنان ، ولكننا نجدها في اليمن والخليج العربي والسعودية أيضا وإن ظلت على استحياء نتيجة للطبيعة المحافظة لهذه الدول .وهناك موضوعات تتميز فيها المرأة غير الموضوع الاجتماعي الذي صار نسويا بالدرجة الأولى ، لننظر إلى أدب الحرب مثلا ، لقد اكتسب ملامح مميزة عند النساء اللاتي اقتربن من هذه التجربة فاقترب من الإنساني وابتعد عن الخطابية كما نجد عند : إيمان حميدان يونس وهالة كوثراني ولنا عبد الرحمن من لبنان وعالية طالب وبثينة الناصري من العراق ، ومن فلسطين نعمة خالد ، لكن المشهد متسع ومتعدد .

سيد الوكيل في سطور
مدير تحرير سلسلة هوية المكان. الهيئة العامة لقصور الثقافة.
أمين عام مؤتمر أدباء مصر (دورة ٢٠٠٨)
الإصدارات :
أيام هند ... مجموعة قصص ، طبعة أولى كتاب نصوص ٩٠ عام (١٩٩٠) طبعة ثانية (مركز الحضارة العربية عام (١٩٩٨) .
للروح غناها ... مجموعة قصص قصيرة ، مختارات فصول الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٧
فوق الحياة قليلا ... رواية . طبعة أولى : سلسلة أصوات أدبية إصدارات الهيئة المصرية لقصور الثقافة ١٩٩٧. طبعة ثانية : مكتبة الأسرة٢٠٠٤
مدارات في الأدب والنقد ... إصدارات إقليم القاهرة الكبرى.
وردة لأمين ريان .... (إعداد) حول أعمال الأديب أمين ريان .... إصدارات فرع ثقافة القاهرة .
مثل واحد آخر . قصص قصيرة . دار الأتحاد للطباعة .٢٠٠٤ .
أفضية الذات (قراءة في اتجاهات السرد القصصي) سلسلة كتابات نقدية الهيئة العامة لقصور الثقافة . القاهرة .٢٠٠٦ .
شارع بسادة . رواية . دار الناشر . القاهرة ٢٠٠٨ .

تلويحة المدى

نزعة مضادة «للاحتباس» الأدبي

شاكر لعيبي

يظل السؤال الأساسي مطروحاً بشكل حاسم عند التقصي عن (أدب المدونات): هل هناك كتابة أدبية عربية «جديدة» بالفعل، غير مرئية، إنْ صحَّ التعبير، لم تطفُ بعد كما يجب على السطح الثقافي؟.
يخيّل إلينا أن الجواب المحفوف بالمخاطرة سيكون «نعم».
نلاحظ في البدء إن ظاهرة «التدوين» العالمية و«المدوّنين» مجهولي الهويّة غالباً، قد امتدت لتشمل الثقافة العربية من مشرقها حتى مغربها، وقد أنتجتْ أدباً يمتلك، كما نزعم، بعض السمات التي تتفارَق بدرجات، أسلوبية وموضوعاتية، عن لغة الأدب المُسيطرَة.
يتعلق الأمرَ بجيل جديد من كتاب «المدوّنات» الذين يكتبون بأساليب تبتعد بأقدار واضحة، بل جدّ واضحة سلباً وإيجاباً، عن النمط الأدبيّ المُعْتبر عالياً أو أسلوباً رفيعاً أو مقبولاً في الأقل. لنتمعَّن، لكي نرى وجهات أخرى من وجوه الأزمة المشار إليها، في أن الثقافة العربية قد خلقت لها (وأحيانا اختلقتْ) رموزاً أدبية في الشعر والسرد منذ بداية القرن العشرين، ثم أسماء جديدة في الستينيات والسبعينيات، وهذه الأخيرة ظلت تتشبث بمواقعها، لأسباب عدة، مغلقة الباب أمام الأصوات الأخرى من مجايليها، المنافسين الحقيقيين، ومن ثم، وخاصةً، لجميع الأجيال التي تلتها. وإذا ما سمحتْ لتلك الأجيال بالتعبير عن أنفسها فإنما بطريقة محسوبة لن تجعل منهم أسماء لامعة، ومن باب التنفيس وذرّ الرماد في العيون. مَن سعى لاختراق ذلك قد بذل الكثير من المال على طباعة كتبه على حسابه الشخصي والسفر إلى الجهات الأربع حيثما يجد ذلك ملائماً للترويج لذاته. لذا شهدت الثقافة العربية نوعاً من «الاحتباس الثقافي» طال أكثر من اللزوم، لأنه ترافق، يداً بيد، مع احتباسات سياسية وفكرية شديدة منغلقة على نفسها، أنتجت بدورها ردود فعل معروفة متطرِّفة من كل نوع.
نشتق «الاحتباس» من أزمة المناخ الخطيرة التي تمر بها الكرة الأرضية ونطوّعها لصالح مسعانا في تفسير أدب المدونات، فهي تُجْلي جانباً من حالة الجمود الفكريّ والفلسفي العربي وهيمنة أصوات بعينها على المشهد الثقافي وتشبث المتشبثين بمواقعهم الثقافية المؤثرة عن حقّ مرةً وباطل مرةً أخرى، ولأنها تنسجمُ مع استعارة «أنا أدون إذنْ أنا موجود» البليغة. ومثلما لا تستطيع دفقات الحرارة الانبعاث خارج كرتنا الأرضية مسببة حُمّىً مَرَضيّة في جسدها، فإن الفسحات القليلة المسموح بها لكل جيل جديد في ثقافتنا سببت حُمّى أدب المدوّنات. انحباس على مستوى الفكر كما في نطاق التفاهُم بين الأجيال. ومن بين جميع الثقافات في العالم لا تسمح الثقافة العربية أن تمنح الكلام والمسؤولية بسهولة وبرضا للأجيال الأصغر سناً. يشتغل العرف الثقافي على أساس الأقدمية الزمنية التي تؤسس لمفهوم الحكمة، والأخيرة تتضمن الحق بالكلام وبالفعل المسؤول. من هنا ينشأ دورياً ضيقٌ لدى الأجيال الجديدة التي تشكو من عدم سماع صوتها، بل قمع صوتها إذا تطلّب الأمر. ومن هنا تطلع تمرّدات في حقول شتى: الاجتماعية غير المرئية في نطاق أجيال العائلة الواحدة نفسها، والأدبية المرئية على السطح في تجديدات شكلية وموضوعاتية تستهين بالإرث السابق لتجاوزه.
يستطيع المتمعِّن في الظاهرة الزعم بأنّ تفاهُم الأجيال لم يعد ممكناً ضمن المرجعيات التي تتأسس عليها شريحة واسعة في الثقافة العربية، وأن «الانحباس» قد صار قاعدة. فالتجييل العشري (جيل الخمسينيات، الستينيات، السبعينيات.... الخ) هو ظاهرة عربية عن جدارة لا نشهد مثيلاً دقيقاً لها في الثقافات الأوربية التي تشهد تعايُشاً معقولاً بين الأجيال الأدبية. كما أن عدم الوثوق بالشباب هو أيضاً ظاهرة عربية عن جدارة ويوجد بدلاً عنها، في الثقافات الأوربية، ثقة كبيرة بهم. هل علينا التذكير بعمر الرئيس الفرنسي ساركوزي؟. أو علينا التنبيه أن مسؤولين كباراً في البنوك والإدارات والمؤسسات التعليمية والتجارية الغربية هم من فئة الشباب حصراً حتى أن سقف سوق العمل الغربية، من الزاوية العُمْريّة، لا يمنح مكاناً لمن تجاوز الأربعين إلا بصعوبة. لا تستهدف المقارَنة سوى التثبُّت من الظاهرة ولا تطلق حُكمَ قيمة، وهي تودّ استنطاق هذا الاحتباس لكي ترى كيف يمكن أن تُخرج منه ظواهر غير متوقَّعة على الصعيد الأدبي. منذ السبعينيات لم يعد ممكنا إذنْ إلا بصعوبة، بسبب الاحتباس الثقافي الشديد، اصطناعَ رموز ثقافية جديدة: لقد جرى تشديد القبضة على عالم الأدب مثلما بالضبط ترسختْ، في أماكن أخرى غير الأدب أسماء النخب المُهيمنة، دون أدنى الفروق أو أقلها. ما علينا سوى رؤية ثبات الأسماء الأدبية والمحررين الثقافيين في الصحافة العربية على سبيل المثال منذ أكثر من ربع قرن. وإذا ما وقع اختراق ما فكان في الغالب اختراقا لثيمات محرّمة (كالأيروتيكا)، جرى بسببها الترويج الآني لبعض الأسماء الشعرية والروائية، وهذه تعوطيتْ في الحقيقة بوصفها نوعاً من الطرفة أكثر مما هي اشتغال أدبي دؤوب من طراز رهيف. طرفة و«موضة» تشتعل لكي تنطفئ بعد حين. والكلام هنا لا يعني أن هذه الثيمة لا قيمة لها بل العكس تماماً. لقد وقعت اختراقات مِحدّدة في حقول أخرى غيرها (رواية «عمارة يعقوبيان» مثلاً) لا تنفي الملامح العامة للظاهرة.
لم يكن «للاحتباس» الثقافي الموصوف أن يدوم إلى الأبد. لتبرز، بسبب شبكة النيت، كتابات احتجاجية غير مباشرة عليه: أول علائم غضبها أنها بدلاً من «معلومية» اسم الكُتّاب السائدين وشهرتهم المثبَّتة، ذهَبَ «المدّونون» طواعيةً إلى «المجهولية»، وبدلا عن الأسلوب الناعم الذي لا يخدش أحداً، فضّلوا نبرة ساخطة، وبدلاً من شفافية المخيلة ومألوفيتها وواقعيتها، تمسكوا بالغريب والفنتازي والسوداوي والسوريالي، وبدلاً من بلاغة الجملة العربية المعهودة احبّوا لغة أقرب للجملة المترجَمَة، وبأخطاء إملائية ولغوية فادحة بعض المرات، مثيرين الشكوك لدينا حول الأصول الفعلية ومراجع بعض نصوصهم.

نشتق «الاحتباس» من أزمة المناخ الخطيرة التي تمر بها الكرة الأرضية ونطوّعها لصالح مسعانا في تفسير أدب المدونات، فهي تُجْلي جانباً من حالة الجمود الفكريّ والفلسفي العربي وهيمنة أصوات بعينها على المشهد الثقافي وتشبث المتشبثين بمواقعهم الثقافية المؤثرة عن حقّ مرةً وباطل مرةً أخرى، ولأنها تنسجمُ مع استعارة «أنا أدون إذنْ أنا موجود» البليغة. ومثلما لا تستطيع دفقات الحرارة الانبعاث خارج كرتنا الأرضية مسببة حُمّىً مَرَضيّة في جسدها، فإن الفسحات القليلة المسموح بها لكل جيل جديد في ثقافتنا سببت حُمّى أدب المدوّنات. انحباس على مستوى الفكر كما في نطاق التفاهُم بين الأجيال. ومن بين جميع الثقافات في العالم لا تسمح الثقافة العربية أن تمنح الكلام والمسؤولية بسهولة وبرضا للأجيال الأصغر سنا. يشتغل العرف الثقافي على أساس الأقدمية الزمنية التي تؤسس لمفهوم الحكمة، والأخيرة تتضمن الحق بالكلام وبالفعل المسؤول.

مؤتمر للرواية العراقية

شاكر الأنباري

حين أقرأ هذا الكم من الروايات العراقية التي تصدر في الداخل والخارج، اتعجب من انصراف المؤسسات العراقية الثقافية عن ملاحظة هذه الظاهرة، وعدم الاهتمام بها اسوة بالبلدان العربية الأخرى. فكل يوم نسمع عن مؤتمر للرواية في دمشق او القاهرة او عمان أو الامارات وسواها، وذلك لما بدأت تشكله من بؤرة للثقافة والوعي. ولا يخفى أن الرواية حلت محل الشعر في احتضان القراء وهمومهم، وكأنها بذلك اصبحت مرآة تعكس متغيرات الواقع وتعاريجه. وعلى الصعيد الشخصي اعتقد ان الرواية قفزت قفزات هائلة في العقدين الأخيرين، وذلك لتسارع الاحداث في المجتمعات، وللتغيرات الجوهرية في طبقات الوعي الجمعي. شخصيا أحس أن ما كتبته سابقا، وهو سبع روايات وخمس مجموعات قصصية، على صعيد الابداع، ينتمي الى مرحلة أخرى، لم تعد تربطني بها تقريبا وشائج كبيرة. لهذا اعتقد أن الكتاب العراقيين لن يستطيعوا الكتابة بالطريقة القديمة مرة أخرى، سواء كانوا في الداخل أم الخارج. اذ كانت الهزة التي حدثت في ٢٠٠٣ من الضخامة بحيث غيرت تركيبة المجتمع برمته، وهذا ما سيقود لاحقا الى تغيير طريقة كتابة النص.
ومن يقرأ أية رواية مكتوبة عن المجتمع التقليدي السابق لعام ٢٠٠٣ سيحس بالاغتراب عن ذلك النص. كثير من القيم والمثل والنماذج للشخصيات العراقية ضُربت واختلت ولم تعد موجودة الآن. ومن هنا تأتي اهمية انعقاد مؤتمر لشؤون الرواية في بغداد، او اربيل، لالقاء الضوء على تغيرات الفرد وتلاوين مزاجه ومفرداته الجديدة ووعيه الذي تحول بشكل جذري. هناك تجارب روائية كثيرة ومميزة، أصّلها كتابها في بلدان مختلفة ذات ثقافات متباينة وحساسيات فنية فائقة. ان جمع تلك التجارب معاً على طاولة مؤتمر جاد للرواية سيعطي دفعا هائلا لمعرفة العراق كبلد لنفسه، وهمومه، وآفاقه المستقبلية.
بعد ٢٠٠٣ أحس وأعتقد أن المثقف عموما، والروائي أو القاص خصوصا، بات يجهل خفايا المجتمع أكثر من السابق، الأمر الذي خلق هوة بينه وبين المادة الأولية التي يتناولها فنيا. هذا فضلا عن جهل المثقف بما يجري في المحافظات. اما مثقف الخارج فمقاربة قضيته تتطلب وقفة أخرى. علما أننا ما زلنا نقرأ الحاضر بأدوات عتيقة، وهذا ما زاد التباس قراءاتنا تلك. وهنا تزداد أهمية الحوار. وبذلك أيضا، يقف المثقفون في جزر منعزلة بعضهم عن بعض. فمثقف الموصل لا يعرف شيئا عما يجري في البصرة، ومثقف النجف يجهل ما يدور في ديالى أو تكريت، وهكذا، وكله بسبب التغيرات العميقة داخل المجتمع، وبروز ظواهر جديدة مثل الطائفية والمناطقية، وغياب سيطرة الدولة وغياب الهوية الوطنية والاستعاضة عنها بهويات طائفية أو عشائرية أو قومية...الخ.
مرة أخرى من هنا تأتي أهمية اجتماع كتاب الرواية ونقادها، من المحافظات ومن الخارج، لبحث هكذا عزلات وتطورات. وعلى ضوء تصاعد الظواهر المهمة التي تعيشها الثقافة الآن مثل تلاشي الحدود بين ثقافة عراقية في الخارج وأخرى في الداخل، ما يفتح الباب واسعا لتلاقي التجارب، وتلاقحها، وهي غنية تصب في نهر واحد. سيكون ذلك النهر مستقبلا متنوعا، سواء في الأساليب أم المواضيع. وسيكون ذا تجربة فريدة في الثقافة العربية، لأن التجربة العراقية، بما مرت بها من أحداث، كانت تجربة استثنائية رغم مأساويتها، وحرثت في حقول جديدة على الثقافة العربية، كالاحتلال والمنفى والارهاب والقمع والميليشيات والعنف الطائفي والديمقراطية الجديدة وتجربة الكفاح المسلح في كردستان العراق وتجربة تهجير الأكراد الفيلية والعراقيين في رفحا والأرطاوية في السعودية، والعراقيين في ايران وسورية والمهاجرين وكيف يعيشون..الخ. وكلها حقول اشتغال ذات بعد أنساني عالمي، اذا ما أحسن تناولها فنيا، ونوقشت بروية وعمق ومسؤولية. حقول اشتغال لا في الرواية فقط، بل في أغلب مساحات الإبداع.

متابعة

الشعر النسوي العراقي في اتحاد الادباء

أنثوية الكتابة..شعرية القصيدة

محمود النمر

ضيف اتحاد الادباء والكتاب العراقيين ،عددا من الشاعرات العراقيات على قاعة الجواهري، وحضر عدد من الادباء والمثقفين الجلسة ،وقدمت الاصبوحة القاصة إيناس البدران التي رحبت بالشاعرات اللواتي حضرن وقالت: تتجلى قضية الكتابة في استلهام الواقع المعاش وترميزه وتجريده وحصره في صيغ ومقولات مجتزأة ليتسنى بعد ذلك إذابة كل المعلومات والمدلولات في منصهر واحد يسبر اغوار النفس البشرية وتجلياتها ويعبر عن ارهاصاتها وتداعياتها صانعا حوارا باطنيا مع الوجدان الفردي او الجمعي، ومن ضمن حركة الكفاح لانتزاع المساواة الاقتصادية والاجتماعية للمرأة تأتي مدرسة النقد الأدبي النسوي المرتبطة بقوة بحركة المطالبة بحقوق المرأة، وللأدبية العراقية تاريخ في الحركة الإبداعية العراقية التي هي جزء منها، وقد شكلت عنصرا مهما من خلال ما قدمته في الانجاز الشعري والقصصي ،ولنا على ذلك أمثال كثيرة سوف يقوم بشرحها الناقد بشير حاجم ليلقي الضوء على الأدبيات اللواتي شكلن حضورا في الحركة الأدبية العراقية .
بعد ذلك قدم الناقد بشير حاجم قراءة في نصوص الشاعرات الاخيرات جاء فيها: يمكن تمييز ثلاثة اداءات للنص الشعري النسوي/ اداء مباشر ذو سذاجة وهشاشة ،عائمتين تتأتيان من عاطفة ظلية، مغلوبة ومقهورة، خاضعة وخانعة، فحواها انثوية الكتابة/ والثاني اداء مكابر فائر، ذو الغاء واقصاء عنيفين يكمنان في رغبة ذاتية، سالبة وقامعة، متعالية ومتحاملة، مرماها خنثوية اللغة/ اداء مداور فاخر ذو تميز وتمرد خصوصيين ينتجان عن مثابرة تجاوزية تجديدية وتحديثية إبتكارية واكتشافية، جدواها شعرية القصيدة، وتناول في بحثه تجارب للشاعرات/ نازك الملائكة/ عاتكة الخزرجي/ زهور دكسن/ لميعة عباس عمارة/ آمال الزهاوي/ دنيا ميخائيل/ سهام جبار ومن جيل التسعينيات/ كولالة نوري/ فليحة حسن/ نجاة عبدالله.
بعد ذلك قرأت عدة شاعرات بعض القصائد كانت اولهنّ الشاعرة فائدة آل ياسين التي القت قصيدتها (الفراشة) كان مستلقيا / وما بين كفيه احلى فراشة / تحاول من أسره الانطلاق /وظلت تصارع قبضته / وظل يصارع لون البهاء على شفتيها /وفي المقلتين /يقلبها بين حين وحين /يلامس صفو الجموح /وانين البقاء /بمثل رتابة شيخ خجول /حاولت مرة /ان تنفض الوانها /خلال اصابعه اليابسة .بعدها قرأت الشاعرة منى سبع درباش / والقاصة ابتسام عبد المحسن والشاعرة منى الخرسان / والشاعرة فاطمة العراقية /والشاعرة خولة عبدالجبار .
وقال الناقد فاضل ثامر في مداخلة له: إني أبارك هذا الجهد الثقافي في اتحاد الأدباء لأننا نشعر ان الأدب النسوي بحاجة الى دعم ولهذا نحن نقدم كل ما هو يصب في خدمة هذا الأدب ونحاول ان نفعل نظام (الكوتة) في اتحاد الأدباء لما تحتله المرأة العراقية من مكانة مرموقة في الأدب العراقي ،ولكن هناك تجارب نجدها لاتستحق الذكر وهي تبدأ من الصفر، وأنا معجب بما قدمه الناقد بشير الحاجم لأننا بحاجة الى مثل هذه الدراسات النقدية التي تسلط الضوء على الأدب النسوي، وكذلك اؤكد على دراسة القصة العراقية النسوية واودان تغنى بالدراسات، كما لا اتفق مع الزميل بشير بنعت بعض الشاعرات بالادلجة وكذلك الرومانسية لان من الطبيعي أن يبدأ كل الأدباء ومنهم المرأة بالمرحلة الرومانسية وحتى الشعراء الكبار في بداياتهم كانوا رومانسيين، والشاعرة نازك الملائكة كانت رومانسية وكذلك كانت تكتب قصائد عمودية في حين كانت لها مقالات ضد العمودي وتدعو الى التمرد على العمود الشعري والثورة الشعرية.
اما أحساس الأدبيات بالأنوثة فهو أحساس طبيعي . وتحدث القاص جهاد مجيد عن دور الأدب النسوي في المجتمع مشيرا الى أهميته، وقال لا اتفق مع الناقد بشير حاجم على وصف الأدب النسوي بالجنوح نحو الذات بل هو حق طبيعي وغريزي يستحق قراءته والاهتمام به.